شرح

آداب المعلمين والمتعلمين

للإمام الشيخ

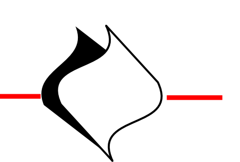
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

- رحمه الله -

شرح فضيلة الشيخ

فيصل بن قزار الجاسم

- حفظه الله -



فهرس الدرس:

١٧. من آداب المعلم والمتعلم النصح وبث العلوم النافعة:

١٨. من أهم ما يتعين على أهلِ العلم السعيُ في جمعِ كلمتهم وتأليفِ قلوبهم:

١٩. الردودُ العِلمية بين الغلو والجفاء:



١ – مقدمة:

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين، هذا كتاب "**المنتخب**" من آداب المعلمين والمتعلمين، للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله– .

(المتن)

يتعين على أهل العلم من المتعلمين والمعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل والتقرب إلى الله تعالى بهذه العبادة التى هي أجل العبادات وأكملها وأنفعها وأعمها نفعاً ويتفقدوا هذا الأصل النافع في كل دقيقٍ من أمورهم وجليل ، فإن درسوا ، أو بحثوا أو ناظروا أو سمعوا أو استمعوا ، أو كتبوا أو حفظوا ، أو كرروا دروسهم الخاصة ، أو راجعوا عليها أو على غيرها الكتب الأخرى .

أو جلسوا مجلس علم ، أو نقلوا أقدامهم لمجالس العلم ، أو اشتروا كتاباً ، أو ما يعين على العلم ، كان الإخلاص لله ، واحتساب أجره وثوابه ملازماً لهم ، قربة وطاعة ، وسيراً إلى الله وإلى كرامته ، وليتحققوا بقوله صلى الله عليه وسلم:«**من سلك طريقًا يلتمس في علما سهل الله له طريق للجنة**».

فكل طريق حسي أو معنوي يسلكه أهل العلم يعين على العلم أو يحصله ، فإنه داخل في هذا.

(الشرح)

٢- العلمُ وأهمية الإخلاص في طلبه:

الشيخ -رحمه الله- كما هو ظاهر يؤكد على أهمية الإخلاص في طلب العلم والتعلم، معلوم إن العلم أعظم ما يتقرب به على الله -سبحانه وتعالى- ، وخص الله -سبحانه وتعالى- به أنبيائه وميزهم، على جميع العالمين بما أوحاه الله -سبحانه وتعالى- إليهم من العلم فهذا الوحي هو العلم، ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء:١٦٦]، ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴾[الرعد:٣٧]، المراد بالعلم هو الوحي الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى أنبيائه.

ولذلك العلم به يعرف الإنسان الطريق ويحدد المقصد والهدف، ويغير له الطريق الموصل إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، ولذلك إذا جهل الإنسان وبم يعرف فإنه قد يخطا في أمرين، قد يخطأ غاية تجده يعمل لغير طاعة الله، ولغير عبادة الله سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[الكهف:١٠٤].

هؤلاء أخطئوا في الغاية ولم يعرفوا المقصد، وهؤلاء كثر، وقد يعرف المقصد والغاية ويميز الهدف لكنه يخطأ في الطريق وربما سلك طريقًا يظن أنه يوصله إلى رضوان الله سبحانه وتعالى فيخطأ الطريق، ولذلك أمر الله نبيه أن يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

شهادة إن لا إله إلا الله توضح الغاية وأن الله سبحانه وتعالى خلقنا لنوحده في العبادة، حيث أن لا يكون معبود يعبد إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يبين الله سبحانه وتعالى الطريق الموصل لهذه الغاية بأن نعبد الله سبحانه وتعالى وما شرعه في كتابه وعلى ألسنة رسله.

لذلك قرنت الشهادة بالنبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة لله الوحدانية، وكما قال ابن القيم رحمه الله: هما توحيدان، لا نجاة لعبد إلا بهما، توحيد عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيد متابعة الرسول، يوحد الإنسان ربه بالعبادة، وأن يوحد رسوله في المتابعة، فالعلم هو الذي يبين لك ويدلك أنتِ جاءك أحاديث كثيرة، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة:١١].

واستشهد الله سبحانه وتعالى بأهل العلم استشهدهم على أعظم الشهود، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨]، وهكذا يذك الله سبحانه وتعالى فضل العلم ومكانته والنبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث الدالة كثيرة، ..فكيف يفضل العالم على عامة الناس، إل بالعلم والعبادة، وقال رحمه الله: ما ..الله مثل العلم، الإمام خلصت نيته.

٣- أيهما أفضل: الوقت المبذول في التعلم أم في العبادة؟

والعلماء والسلف على أن الوقت الذي يبذله الإنسان في التفقه والتعلم أعظم من الوقت الذي يبذله في العبادة،وكما قال الشافعي أو غيره: لأن أقضي ليلة في التفكر في مسألة أحب إلي من ..وهذا معلوم، وآثار السلف في ذلك كثيرة، إن العلم يورث الخشية، بعدما يبين للإنسان الطريق يورث الخشية.

حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن العلم، قال: العلم خشية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨]، لا يخشى الله إلا العلماء، لذلك العلم يورث الخشية والعبادة، ومن هنا كان على الإنسان إن يصحح نيته فيطلب العلم، لأن الشيطان أقسم بعزة الله أن يذلن الناس، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢].

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف:١٦]

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف:١٧]، فهو قد اقسم على أن يضل الناس،وأكبر ما يقرب به الشيطان أن يفسد النية، فإذا فسدت نية العبد في عمله ضاع عمله، حتى صار كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان:٢٣].

الشاهد أن تصحيح النية من أعظم ما يحتاج الإنسان، لأنه إذا ..ساءت نيته، ويكون جهده الذي بذله وهذا الوجه الذي سلكه، ومن أعظم الطرق الموصلة لله سبحانه وتعالى فسد كله، وليته يسلم بأن يضيع الأجر بل هو

معذب، لأنه مشرك بالله سبحانه وتعالى بأن قصد غيره سبحانه وتعالى، وقال صلى الله عليه وسلم:**«أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر وفسره بالرياء»**، **«وأول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة العالم والمجاهد والمنفق»** يعني بذلوا أعظم الطاعات، لكن لغير وجه الله فاستحقوا أن يكونوا أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

٤-السلف وشدة حرصهم على إخلاص النية:

ولذلك كان السلف يخافون على النية، والآثار في ذلك كثيرة جدًا، وكان يراجعون نياتهم، حتى أن شعبة بن حجاج من شدة حرصه على النية، كان إذا رأى طلبة الحديث قال: لو جالست اليهود والنصارى أحب إلى من مجالستهم، المراد إن علم الحديث لو دخلت فيه استغرق وقتك كله.

فإذا لم تكن النية صالحة فيصدك عن عبادات يعني فكنت ليس من اشتغل في العبادة ولا كنت من اشتغل في العلم، فالإنسان يحتاج مراجعة النية وأعظم ما يقع في قلب طالب العلم وأكبر الآفات هو هذا، كما قال .. :ما عالجت نفسي على شيء أعظم من معالجة النية، وإن لتتفنت علي، وكان الشعبي يقول: ما أنا على شيء ..أخشى أن يدخلني النار من هذا العلم، يعني أكثر شيء أنا أقيم عليه من عمل أخشى أن يدخلني النار هذا العلم، لأنه يخشى أن يكون طلبه إليه ليس لله.

لذلك الإنسان في حاجة دومًا إن يراجع نيته في تعلمه وفي تعليمه وتدريسه في كل شيء، فإذا خلصت نيته فليبشر بأعظم القرب لله سبحانه وتعالى.

والإمام أحمد رحمه الله عن النية، قال: أن ينوي رفع الجهل عن نفسه، يعني يقصد ابتداء نفع النفس، أول ما تقصد في العلم أن تنزي رفع الجهل عن نفسك وأن تقصد نفع نفسك، لذلك ينبغي أن تكون أول المنتفعين بهذا العلم، فإن حصلت ذلك اغتنم نشر الدعوة ونفع الناس.

(المتن)

ثم بعد هذا يتعين البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية ، وما يعين عليها من العلوم العربية وتفصيل هذه الجملة كثير معروف .

وينبغي أن يسلك أقرب طريق يوصل إلى المقصود الذي قصده وأن ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها وأوضحها ، وأكثرها فائدة ، ويجعل جل همه واشتغاله بذلك الكتاب حفظاً عند الإمكان أو دراسة تكرير بحيث تصير معانيه معقولة في ذهنه محفوظة ، ثم لا يزال يكرر ما مر عليه ويعيده.

(الشرح)

٥-التدرجُ في طلبِ العلوم الشرعية، والبدايةُ بالأهم فالأهم:

إذا صحت نيته وعالجها فإنه يسلك الطريق، الطريق لابد له، يعني طلب العلم النبي صلى الله عليه وسلم هو من علم الصحابة، والصحابة علموا

التابعين، والتابعين علموا من بعدهم فالعلم طواف يؤخذ بالسند، بمعنى السند انه طالب العلم يأخذ العلم عمَّن تعلم قبله، إلى أن يصل العلم للنبي صلى الله عليه وسلم، والمقصد إن العلم ترقى عن أمره.

والعلماء قد سلكوا وبينوا طرق العلم وفي كل فن تكلم العلماء في متون هذا الفن وفي أنواعها والفروق بينها، وفيما يحتاج طالب العلم وفيما يبدأ وفي خصائص هذه الكتب، وهذا مذكور في كلام كثير من أهل العلم وقد كتب في ذلك كتبًا مختصة في بيان ما هي الكتب التي يبدأ بها طالب العلم في كل فن، في كل فن يبدأ الإنسان بالكتب المختصة التي تبين المسائل وتبدأ مع طالب العلم، وهذا من قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩]، رباني الذي يريب الناس بصغار العلم قبل كباره.

فيبدأ الإنسان طالب العلم بالمتون المختصرة التي أعدت للمبتدأين، ثم الذي هو أعلم منها، ثم الذي أعلى منها، وليس وظيفة العالم أن يدرس كل كتاب، وإنما وظيفة العالم أو المدرس إن يصور مسائل للطالب تصويرًا صحيحًا، هذا الهدف من المدرس إن يصور لك هذا الفن تصوير صحيح حتى يصح تصورك، ويعرفك بدليل كل مسألة ومنزعها ويرجع المسائل على أصولها وقواعدها.

وأما الفروع بعد ذلك فهذه تكون من طالب العلم بعد إن درس المسائل يقعد فيها حتى يترج فيه ويتمكن منه بعد ذلك يقرأ في المدونات التي فيها الفروع والنقاشات العلمية وغير ذلك ذات الأهمية، ثم بعد ذلك إذا أشكل عليه شيء تجد العلماء يشرحون كتاب مثلًا **"فتح الباري"**، أو ما شابه ذلك، وفي كل الكتب، تجد في الفقه يقرؤون منهج السالكين في عمدة الفقه ثم ينتقل بالطالب على ما هو أوسع منه.

ثم يذهب في شروح المقنع، ولكن لا تجعله يشرح شروحات المقنع المطولة مثلًا أو شروحات الخرقي وما شابه ذلك لأن هذه إنما هي مراجع يرجع لها طالب العلم، الإنسان يبدأ رفي كل فن وإذا لم يكن عارف بما يبدأ به يسأل أهل الخبرة وأهل العلم في هذا الفن، وفي كل فن أهله الخبيرون به، حتى المذاهب الفقهية كل..مذهب المالكي مثلًا تجد الخبراء تكلموا على ما يبدأ به طالب العلم.

٦-دراسةُ الكتب المخدومة المشهورة أفضلُ من دراسة غيرها من الكتب ولو كانت غيرها أفضل منها:

والشيخ ينبه على الإنسان إذا التقى مصنفات أن يلتقي أحسن المصنفات وأفضلها حتى لا يضيعه، ينتقي أفضل الكتب وأحسنها، وينقي كذلك الكتب المشتهرة، المتداركة، يعني ما يأتي الإنسان مثّلا إلى بلد يجد شيوخهم وعلمائهم على المذهب الحنبلي مثلًا فتجده يختار كتاب الشافعية، حتى لو أعجبك، وإذا

وجدت مسألة تجد الخبراء فيها والشروح المتوفرة وتجد الخبيرين في المذهب وأصوله وهكذا.

قد تجد كتاب المخدوم الذي ختم العلماء شرحه، وتحشية وتعليقًا أفضل من الكتاب الذي ليس له هذا الأشياء ولو كان أفضل، أضرب مثالًا، كتب المتعلقة بالأحاديث والأحكام، كتب كثيرة، منها المختصر. ومنها المبسط ومنها المطول، فالمختصر **"عمدة الأحكام"**، ومن المتوسطات **"الإلمام"** لابن دقيق العيد، "بلوغ المرام" لابن حجر، والمطولات في كتاب "منتقى الأخبار" وكتاب ابن شداد وغيرها.

المتأمل في هذه الكتب يجد مثلًا في بلوغ المرام والمحرر، المحرر مساوي لبلوغ المرام في الأحاديث وهو أفضل من بلوغ المرام، لأنه كان يعتني بذكر الخلافات في الألفاظ، وفيه زيادات عن بلوغ المرام، وهذه يقولها أهل العلم والفقه، لكن أيها أفضل، إن تستمع لشرح المحرر أو المرام، المرام أفضل بكثير لا لأنه أفضل من حيث التصنيف، لكن لأنه قد خدم العلماء قديمًا وحديثًا.

فإذا أوقفك فيه شيء تجد من شرحه بالعشرات، وتجد الحواشي والتعليقات كثيرة جدًا فهو أنفع بكثير من غيره، لأنه كتاب ..، مثال من كتب الحنابلة، "دليل الطالب" و "ذات المستنقع"، هما في مرتبة واحدة في المذهب، الدليل عبارته أسهل بكثير من المستنقع، تقرأه واضح، لكن الشروحات في المستنقع والحواشي والتعليقات أكبر أضعاف.

ولذلك هذا يعينك في طلب العلم، حتى تختار الكتاب الأنسب بالنسبة لك، لأنه ..الشيخ عندما ذكر له بأن المحرر أفضل، فالمحرر أفضل لكن بلوغ المرام مخدوم أكثر وهو أنفع للناس، الشاهد أن هذه يهتم به من أفضل المصنفات وأنفعها وأكثرها، يقول ويشتغل به حفظ الكتاب عند الإمكان، إن أمكن إن يحفظ الإنسان الأحكام والمتون هذا خير، إن لم يتمكن من ذلك وضاق عليه الوقت ولم يستطع فإنه يكرر القراءة، التكرار مفيد يقرأ المتن مرة واثنين حتى يفهم هذا المثال.

(المتن)

وعلى المتعلم أن يوقر معلمه ، ويتأدب معه غاية ما يقدر عليه ، لما له من الحق العام والخاص.

أما العام : فإن معلم الخير قد استعد لنفع الخلق بتعليمه وفتواه ، فحقه على الناس حق المحسنين ، ولا إحسان أعظم وأنفع من إحسان من يرشد الناس لأمر دينهم ويعلمهم ما جهلوا ، وينبههم لما عنه غفلوا ، ويحصل من الخير وانقماع الشر، ونشر الدين والمعارف النافعة ما هو من أنفع شيء للموجودين ، ولمن أتى من بعدهم من ذريتهم وغيرهم .

فلولا العلم كان الناس كالبهائم في ظلمة يتخبطون في غيهم يعمهون فهو النور الذي يهتدي به في الظلمات ، والحياة للقلوب والأرواح والدين والدنيا ،

والبلد الذي ليس فيه ما يبين للناس أمور دينهم ويرشدهم لما ينتابهم مما هم مضطرون إليه لا خير في الإقامة فيه.

فمن كان هذا إحسانه ، وأثره علي الخلق كيف لا يجب على كل مسلم محبته وتوقيره ، والقيام بحقوقه.

أما حقه الخاص على المتعلم ، فلما بذله من تعليمه ، الحرص علي ما يرشده ويوصله إلى أعلى الدرجات ، فليس نفع الآباء والأمهات نظيراً لنفع المعلمين المربيين للناس بصغار العلم قبل كباره ، الباذلين نفائس أوقاتهم ، وصفوة أفكارهم في تفهيم المسترشدين بكل طريق ووسيلة يقدرون عليها.

وإذا كان من أحسن إلي الإنسان بهديةٍ مالية ينتفع بها ثم تزول وتذهب له حق كبير على المحسن إليه ، فما الظن بهدايا العلم النافعة الكثيرة المتنوعة الباقي نفعها ما دام حياً وبعد مماته ، المتسلسل بحسب حال تلك الهدايا ، فحينئذ يعرف أن له ممن الحق والتوقير وحسن الأدب والوقوف مع إشارته .

(الشرح)

٧-آداب المتعلم مع المعلم:

ينبه على أهمية توقير المعلم والمدرس، والتأدب معه، فيذكر أن المعلم له حق، وكل حق يوجب توقيره واحترامه والتأدب معه ومعرفة إحسانه وفضله على الناس.

٨-الحق العام للمعلم على المتعلم:

أما الحق العام: فلما حصل بفضل دعوته الناس إلى الخير من الخير العظيم، فإن الخيرية، .لكل العلم والعلماء.

والعلماء هم أملة الناس، وأملة الأمة، ..، لأجل أنهم حصلوا العلم، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال:إن الله ..رؤوس الجهال، والعلماء كما قال صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء، لأنهم ورثوا عنهم العلم، العلماء سادتهم هم الأنبياء، ولا أعظم في الفضل والمكانة من الأنبياء، فهم أعظم الناس فضلًا على جميع الناس؟ لأنهم جاءوا بالعلم وعملوا وأرشدوا، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت:٣٣].

ليس أحسن، ممن أحسن قولا من العالم ودعا إلى الله، الدعوة العلمية للناس، وهم العلماء، الدعاة هم العلماء، وكل من دعا بغير علم فهو ليس من دعاة الحق، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[الأحزاب:٤٥]

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[الأحزاب:٤٦]، أعظم الناس فضلًا على الناس هم العلماء والفقهاء فهذا حقه، لأنه لولاهم لعاش الناس في ضلال، وعاشوا في غي وجهالة.

وبوجودهم انتشر الخير وبفقدهم ينتشر الشر، وأنا ذكرت ذلك كثيرًا، هذا حقه العام.



٩-الحق الخاص للمعلم على المتعلم:

أما حقه الخاص بالنسبة للمتعلمين خاصة فلما له من الفضل عليهم في تعليمهم وإرشادهم وبيان الخير لهم وحثهم عليه والتفقه في دين الله، هذا أعظم ما يصل الإنسان، بقدر علم الإنسان بقدر تقواه، هذا كانت نيته صالحة، المعلم أكثر نفعًا من الآباء والأمهات، لأنهم يوصلونك بما علموك إلى الآخرة، ولذلك الإنسان لو أهدي له هدية دنيوية لبقي يشكر المهدي ويشكر فضله، فكيف بمن أهداك بأعظم ما يصل الإنسان في الدنيا الذي هو زاد الآخرة وهو العلم.

١٠-بقدر احترامك لمعلمك بقدر انتفاعك بعلمه:

من هنا يحتاج الإنسان أن يتأدب مع من يعلمه وأن يعرف قدرهم ومكانتهم بقدر احترامك لمعلمك وبقدر اعتناءك بذلك بقدر ما تنتفع بعلمه، لذلك لا ينتفع بالعلم المشاكس، تتبع الزلات ويشاكس ويعارض شيخه ومعلمه ومن ذلك ما جاء في سيرة أبي عبد الرحمن رحمه الله أو بسند عبد الرحمن بن عوف، ابن الصحابي الجليل من فقهاء المدينة، كان يشاكس ابن عباس رضي الله عنه ويسأله ويشاكسه ولذلك حرم خيرًا كثيرًا وعلمًا كثيرًا من ابن عباس بسبب المشاكسة.

وغيره كان لا يشاكس فانتفع، فالشاهد الإنسان يحتاج لهذا التأدب، لكن التوقير العام ليس معناه الموافقة على ..، بل ينبه العالم والمعلم إن أخطأ بالحسنى، والشيخ ينبه على هذه التي بعدها.

(المتن)

وليجلس بين يديه متأدباً، ويظهر غاية حاجته إلى علمه، ويدعوا له حاضراً وغائباً، وإذا أتحفه بفائدة أو توضيح لمشكل، فلا يظهر له أنه قد عرفه قبله، وإن كان عارفاً له، بل يصغي إليه إصغاء المتطلب بشدة إلى الفائدة، هذا فيما يعرفه، فكيف بما لم يعرفه، ولهذا كان هذا الأدب مستحسناً مع كل أحد في العلوم والمخاطبات في الأمور الدينية والدنيوية.

(الشرح)

١١-التأدب بين يدي المعلم:

المتعلم لا يخرج على المعلم ويشير عليه معلمه، يعلمه كيف يطلب العلم كيف يتفقه، وكيف يراجع، وينبهه فإنه لا ينقطع عن إشارته لأنه أفقه منه واعلم منه، ويأخذ بإرشاداته حتى لو غلظ وشد عليه، فإنه يتقبلها بصدر رحب، لأنه يعلم أن تغليظه عليه لا لأجل العقوبة وإنما لأجل مصلحته كما يؤدب الأب ابنه لأجل مصلحته، وهو محسن إليه لذلك إذا أفاده بفائدة يفرح بها، ويحمد الله سبحانه وتعالى على إن عرفه هذه المعلومة.

حتى لو قال له معلمه شيء يعلمه، لا يبين له أنه يعرفه نعم، نعم، ويرفه يده ويخبره عنها، لا، بل أضف ذلك لحاجتك وكأنك تسمعها لأول مرة، وهذا فيما تعرف كيف في ما لا تعرف، بل العجيب فيما ذكر عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله وهو من تلاميذ بن عباس رضي الله عنه.

يقول: كان يأتيني الرجل ويحدثني بالحديث فأصغي له كأني أسمعه منه أول مرة، طالب علم، يحدثه حديث، يقول: وقد سمعته قبل أن يولد، مع ذلك لا يقول له أعرفه، لا، بارك الله فيك، وهذه الحقيقة قد يكون فيها فرع الإخلاص أحيانًا بعض الناس لو ذكر شيء تريده يقفز يريد أن يظهر علمه، وهذا قد يرى أحيانًا في بعض المجالس، بعض المشايخ الموجودين، فتجد بعض الناس بدلًا من أن ينصت للاستفادة ممن هو اعلم منه تجده يتكلم معهم ويناقش ويظهر نفسه ويظهر للآخرين كأنه عنده علم وكذا.

متى ما كان هناك من يريد ويعلم احرص على الانتفاع والاستفادة، والشيخ لما قال: لا يرجع عن إشارته، إيش يسوي؟ هذا في الحقيقة ضيع جهود كثيرة، يا شيخ دلني على .. العلم؟ قال افعل كذا وكذا، يا شيخ علمني طريقة؟ فيخبره طريقة فيمشي عليها، وتجد التناقض من منهج لمنهج ومن طريقة لطريقة وتجد بعد مرور السنين لم يحصل علمًا، هذا خطأ من استخدم طريقة العلم يصبر عليها، إلا إذا تبين أنها خطأ أو أنه جربها سنوات طويلة ثم يعلم أنها لا تناسبه لأمور متعلقة به أو حاله أو وقته لا بأس هي ما ناسبتني.

أما التفقه كل من أتى إذا أرشدك المعلم وكان معروف بحسن التعليم والخبرة والمعرفة في العلم، فإنه يخبرك، الشخص إذا كان متقنًا للعلم، معلوم أنه ما ضبطه إلا أنه سلك فيه مسلك صحيحًا حتى ضبط مسألته، فهو سينقل لك خبرته في التعلم والتفقه فلا تخرج عنها، وإذا أشار عليك شيخك بشيء استمر عليه إلا إذا كان لا يناسبك بطريقة ما فاتبع طرق أخرى.

(المتن)

وإذا أخطأ المعلم في شيء فلينبهه برفق ولطف بحسب المقام ، ولا يقول له :أخطأت ، أو ليس الأمر كما تقول ، بل يأتي بعبارة لطيفة يدرك بها المعلم خطأه من دون أن يتشوش قلبه ، فإن هذا من الحقوق اللازمة وهو أدعى إلى الوصول إلى الصواب .

(الشرح)

١٢-الرفق في التنبيه على خطإ المعلم:

نعم قد يخطا المعلم، يسرد حديث مثلًا للبخاري ولا الطبراني، الإنسان ينبه المعلم بطريقة لائقة، ليس يا شيخ ترى هذا ضعيف وهذا كذا، هذا خطأ، يرشده بلطف وأحيانًا قد يكون ورع، حتى لا يوقعه في الإحراج فيتلطف ويحاول ما يفعل ذلك لأجل أن يظهر أنه متنبه وأنه بين للشيخ خطأه كما يفعل بعض الناس اليوم، حتى ليس في التعليم وإنما في الكتب، يفرح إذا وجد خطا في الكتاب يفرح، ويقول هناك خطأ وكذا.

هذا قد يفعله الإنسان بقصد مصلحة المؤلف وقد يفعله الإنسان ليظهر أنه متقن وأنه يريد العلم وما شابه ذلك، وهذه قضية مهمة، وأذكر مرة من المرات كنت أشرح في عمدة الفقه، وكان مع الطلبة ..قلت عمدة الفقه من ألف؟ قال: ابن قدامة، خلاص، ..لكن ترى يا شيخ الحديث كذا، إذا رأيت خطأ واضح من الشيخ أنت تقول بلطف وإلا لا تعارض الحديث ضعيف وكذا، ويبدأ بعض الطلبة يتفكرون .

المتفكر الذي لا يصدر عن طالب العلم ولا يجد عند معلم يتعلم لم يحصل علم، العلماء كانوا يدرسون وشيوخهم لهم طرق، منهم الذي لا يذكر إلا،، أعطيك مثال اسمع أي شرح ابن عثيمين رحمه الله وشرح للشيخ ابن باز، خذ أي كتاب "**كتاب التوحيد**"، واسمع للشيخ ابن باز وابن عثيمين، الشرح بينهم مختلف تمامًا .

ابن عثيمين رحمه الله يهتم بالتفريع والتقسيم والبسط، ويتفقه في بعض الأمور، والشيخ ابن باز يتكلم كلام مختصر.يبين المقصود، فهذا له طريقة وهذا له طريقة، فالطالب يستفيد من طريقة هذا ومن طريقة هذا، أما التنقل والتفكر، والله هذا ما أعجبني هذا خطأ، وبعض الطلبة اليوم يكثر من النقد.

يعني بعض الطلبة بدلًا أن يكون يدرس المتعلم يصبح هو ترى يا شيخ طريقة كذا وكذا، يا شيخ طريقة كذا خطأ مش صحيحة، أنا أقترح كذا، وجد

شيخ مثلًا يسير بطريقته ووجدت أخر تناسبك طريقته أذهب للأخر، أما أن تنتقد هذا، فلا.

١٣-التأدب مع المعلم واحترامه لا يعني موافقته في كل شيء:

هذا ينبه أيضًا أنه ليس معنى إنسان يتعلم عند احد أو يتفقه عند احد إن يوافقه في كل شيء، لا، وليس معنى إن تخالفه إن تبين له، ذكر الشيخ مثلًا قراءة القرآن للحاء، فرجح الشيخ مثلًا أن الحاء لها كذا وكذا، وأنت باحث المسألة من قبل ودرستها، ومطمئن قلبك، هل هذا يعني إن تناقض الشيخ وتقول كذا وكذا،لا يصح هذا.

وإن كنت وجدته أقوى مما عندك، فخذه واستمر على ما أنت عليه واحترم رأيه، هذه قضية، والقضية الأخرى، لا يعني انك تعلمت عند شخص أن تبين الخطأ وإن كان خطأه معلنًا، هذا رجل احد المشايخ كتب كتابًا، وذكر من المسائل خطأ، المسائل قد تكون فيها بدعة، أو قد يكون أتى بشيء خطأ، ولم تجد ما..عليه، والخطأ هذا يحمله للناس، وأنت تعلم إن الخطأ يخالف الكتاب والسنة، هل هناك ما يمنع من أن ترد عليه، لا.

١٤-العِلمُ رحمةٌ بين أهلِ العلم:

لكن ترد عليه من العلم، العلم رحمة بين أهل العلم، وتعرفه..لكن اليوم غير هذا، تجد إنسان يرد على فلان، يا شيخ أنتِ كذا، كيف هذا، إن وجد من يرد عليه الخطأ الحمد لله، وأنت فادر وتعلم الخطأ، قد يكون خطأ مخالف

للنص والجماعة، ترد عليه باحترام والعلماء يرد بعضهم على بعض، لكن بأدب العلم، فليس عندنا في الإسلام إن يقدس شخص ولا يرد عليه.

هذا عمر بن الخطاب ترد عليه امرأة، لما قصة المرأة ترد عليه امرأة فيقف عندها عمر رضي الله عنه، وهو عمر الفاروق اعلم الناس في وقته، بإجماع الصاحبة لكن قد تفوته بعض المسائل، فهذا لا ..بل هذا من عظم الإسلام.

(المتن)

ومن أعظم ما يتعين على أهل العلم الاتصاف بما يدعوا إليه العلم من الأخلاق ، والأعمال ، والتعليم ، فهو أحق الناس بالاتصاف بالأخلاق الجميلة ، والتخلي من كل خلق رزيل ،وهم أولى الناس بالقيام بالواجبات الظاهرة والباطنة وترك المحرمات لما تميزوا به من العلم والمعارف التي لم تحصل لغيرهم .

ولأنهم قدوة للناس ،والناس مجبولون على الإقتداء بعلمائهم شاءوا أم أبوا في كثير من أمورهم ، ولأنهم يتطرق إليهم من الاعتراضات والقوادح عندما يتركون ما يدعوا إليه العلم أعظم مما يتطرق إلى غيرهم.

(الشرح)

١٥-غايةُ العِلم العمل:

الشيخ رحمه الله ينبه إلى أهمية العمل بالعلم، لأن ما المقصود من العلم؟ هو إن نعمل، لماذا نتعلم، حتى نعرف ربنا، ولما نعرف ربنا؟ لنعبده، والعبادة

ما هي؟ العبادة أعمال، العبد يعبد الله سبحانه وتعالى، وتوحيد الله ماذا؟ بأعمال العبد، ولذلك المقصود من العلم هو العمل، ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[محمد:١٩]، بدا بالعلم بعدين العمل، لأن العمل لا يستقيم إلا بالعلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يرى خلل من الناس يقول:«إني لأعلمكم بالله وأعظمكم له خشية»، أي لو كان الأمر خيرًا لوجدتموني أولى الناس بفعله، فكان يحتج بأنه أعلم الناس، وانه من يعرف العلم، وكما قال:..وإلا ارتحت، وهكذا العلماء لا تجد إنسان لا يعمل بعلمه هذا عليه إن يراجع نيته ومقصده، العلم يجب أن تصحح النية.

بعض السلف يقول:طلب العلم لغير الله، فأبى الله إلا إن يكون له، أيش طلب العلم رياء؟ مراده أنهم طلبوا العلم لغير الله، قد يكون إنسان يحضر الدرس ليس لأنه نية خاصة، ..وافق أنه كذلك وذهب معه وألزمه ثم تعلم فعلم أمر النية وصحح نيته.

فالشاهد إن العلم لابد له من عمل، إن كان العلم لا يرى أثره على العبد هذا يحتاج أن يراجع نيته مرارًا وتكرارًا، وهذه من الآفة التي يقع فيها بعض المتعلمين أنه لا يعملون بعلمهم، إذا عرفت السنة فاعمل بها، متى ما عرفت السنة عمل بها، كما قال الإمام أحمد: إذا عرفت السنة فاعمل بها تكن من أهلها،

وكان الحسن البصري يقول: كان الرجل يطلب العلم فلم يلبث أن يرى أثر ذلك على تخشعه وصلاته وعبادته، يرى أثر العلم عليه.

كان رجل يقول: كنا إذا قدم لنا شخص في العلم، ..صراطه وهديه، فإن حمد أخذنا عنه العلم، قبل إن يطلب العلم ينظر إلى هديه وتمسكه، الإنسان يهتم، وهذه من بركة العلم.

(المتن)

وكما أن على المعلم توقير معلمه ، والأدب معه ، فكذلك أقرانه في التعلم ، معه عليه توقيرهم واحترامهم فالصحبة في طلب العلم تجمع حقوقاً كثيرة ، لان لهم حق الأخوة والصحبة ، وحقوق الانتماء إلى معلمهم وأنهم بمنزلة أولاده ، وحقاً لنفع بعضهم بعضاً.

ولهذا ينبغي أن لا يدع ممكنناً من نفع من يقدر عليه من نفع من بتعليمه ما يجهل ، والبحث معه للتعاون على الخير وإرشاده لما فيه نفعه.

وينبغي أن يكون اجتماعهم في كل وقت غنيمة يتعلم فيها القاصر ممن هو اعلي منه ويعلم العارف غير العارف ويتطارحون من المسائل النافعة وليجعلوا همهم مقصورًا علي ما هم بصدده.

وليحذر من الاشتغال بالناس ، والتفتيش عن أحوالهم ، والعيب لهم ، فإن ذلك إثم حاضر ولأن الانشغال بالناس يضيع المصالح النافعة ، والوقت النفيس ويذهب بهجة العلم ونوره.

(الشرح)

١٦-آداب المتعلم مع أقرانه وأصحابه:

تكلم الشيخ -رحمه الله- عن أدب المتعلم مع أقرانه وأصحابه، وأن هؤلاء في منزلة الإخوة،وهم إخوة في طلب العلم لا شك، فهم مشتركون في المعلم، ولذلك بين الحق العام، والحق الذي يخص من حق العلم وأخص منه حق الانتماء، أي حق أخذ العلم عنه، فبينهم حقوق ثلاثة، وهذه الحقوق، توجب ناصح ومن التعاون على البر والتقوى، وتوجب الإفادة والاستفادة، واستماع الخير.

وهكذا الإنسان يتعلم المفيد ويعلم صاحبه، ويجتمعون في التفقه والتعلم هذا هو أعظم صحبة إن يصاحب الإنسان أهل العلم وطلبة العلم، الذين يعينونه على طاعة الله ويذكرونه ويرشدونه وهو يعلمهم ويتعلم منهم، هذا أمر مهم، ولا يكون في قلبه شيء من الحسد إذا تميز أحد الطالبين أحب ذلك منه وأحب كذلك إن يلحق به، بل أحب أن يفوقه، وهذه نعمة عظيمة.

وهذه يجوز فيها الغبطة، أن يبقى الإنسان غيره على الخير، وأعظم هذا العلم، أما ينشده،..كذا بحثًا أو أن الشيخ رأى فيه نباهة وأنه كان اذكي منه يريد يحسده وينافسه لا لأجل حصول الخير، لا لأجل إن يتفوق عليه فقط، لأجل الغلبة، هذا خطأ كبير، طلبة العلم عليهم أن يجتمعوا للتدارس، والتفقه

والتعلم، كما قال بعض العلماء: أعظم الحسد الذي يقع بين طلابًا في العلم، وربما يتكلم بعضهم في بعض.

هذا من الآفات التي ينبغي أن يسلم الإنسان منها، وأن يكون حريصًا على الإفادة والاستفادة، لا يظهر انه أفضل وانه أعلم من إخوانه، لا، بل يظهر حاجته وما عنده من العلم، والاجتماع بهم من أعظم أنواع الاجتماع، لأنه اجتماع على أعظم ما يقرب على الله هذه الصورة الصالحة الحقيقية، التي يكون فيها لطلب العلم والتفقه وهذا أساس هذه الدعوة المباركة.

ولا يشتغلون بعيب الناس فلان فيه كذا، هذا دليل كذا، هذا يفعل كذا، هذا من الخطأ، وأيضًا فيه نقد لحقوق الإخوة، ولحقوق الرحم التي تجمع بينهم عند هذا المعلم، أما ترد على المبتدع والمخطأ فهذا له أهمية، ولا تكثر من الكلام في فلان وفلان بغير فائدة، تجلسون فلان غوى في بدعته يتفكرون في ذكر أحواله، ما الحاجة لهذا الكلام.

ويتكلم في من يعرف ومن لا يعرف حتى يتبين له الأمر، ليس معناه من البدع انه فلان كذا، لا، المراد أنك تتكلم فيما يدفع الشر عن الناس، بهذا القيد في هذا فقط.

(المتن)

ومن آداب العالم والمتعلم النصح وبث العلوم النافعة بحسب الإمكان حتى ولو تعلم الإنسان مسألة واحدة ، ثم بثها كان من بركة علمه ، ولأن

ثمرات العلم أن يأخذ الناس عنك فمن شح بعلمه ، مات علمه بموته وربما نسيه وهو حي ، كما أن من بث علمه كان له حياة ثانية ، وحفظاً لما علمه ، وجازاه الله من جنس عمله.

(الشرح)

١٧-من آداب المعلم والمتعلم النصح وبث العلوم النافعة:

الإنسان عليه إن يتعلم ويتفقه ليبث العلم وينشره، كما قال صلى الله عليه وسلم:**«بلغوا عني ولو آية»**، الإنسان لو تعلم شيء يبثه وينشره وهو أعظم ما يورثه بعد موته،**«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به»**.

العلم ينتفع به قد يكون كتابًا وقد يكون درسًا علمه وقد يكون حديثًا، أو حكمًا بينه للناس، أخذه هذا وتعلمه ثم علمه لأخر، ولا تنقطع هذه الأجور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكلما كان معلمًا، كان من أعظم البركة، وبعض الناس يطلب العلم ولا يعلمه، ولا يفقه، فيموت ويموت معه علمه، وربما نسيه في حياته، ومن اكبر أسباب النسيان بعد المعاصي والذنوب وآفات النفس أن لا يشتغل الإنسان بالتعليم، وكما قال العلماء: هو زكاة العلم.

أوجب الله عليك زكاة في مالك، والزكاة في العلم أعظم من زكاة المال واوجب، لان الناس محتاجين من يعلمهم ويفقههم و لكثرة الجهل وقلة الأهمية للعلم، فنشر علم حياة، حياة للإنسان وحياة للناس.

(المتن)

ومن أهم ما يتعين السعي في جمع كلمتهم ، وتأليف القلوب على ذلك وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم وأن يجعلوا هذا الأمر نصب أعينهم ، ويسعون له بكل طريق ، لأن المطلوب واحد والقصد واحد ، والمصلحة مشتركة.

فيحققوا هذا الأمر بمحبة كل من كان من أهل العلم ، ومن له قدم فيه واشتغال أو نفع ، ولا يدعون الأغراض الضارة تملكهم وتمنعهم من هذا المقصود الجليل ، فيحب بعضهم بعضاً ويذب بعضهم عن بعض ، ويبذلون النصيحة لمن رأوه منحرفاً عن الآخر ، ويبرهنون على أن الأمور الجزئية التي تدعوا إلى ضد المحبة والإتلاف لا تقدم على الأمور الكلية التي فيها جمع الكلمة .

فنسأله تعالى أن يرزقنا حبه وحب من يحبه وحب العمل الذي يقربنا إلي حبه ، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(الشرح)

١٨-من أهم ما يتعين على أهلِ العلم السعيُ في جمعِ كلمتهم وتأليفِ قلوبهم:

الشيخ -رحمه الله- ينبه على القضية الأخيرة من طوائف الألفة، والمحبة، أن يسعى الإنسان دومًا أن يجتمع طلبة العلم على الخير والتآلف والنصيحة وتحمل شخص آخر، هذه قضية مهمة، ومن أعظم ما يصد الناس عن العلم ويصد تبليغهم للناس هو ما يقع بينهم من النفرة، ومن البغضاء وهذه كما سماها النبي صلى الله عليه وسلم ..الشحناء والبغضاء من أعظم الآفات التي تحرم الناس من الخير.

لذلك طلبة العلم ينبغي إن يكون بينهم الألفة وإذا رأى الإنسان شيء في قلبه وربما قد اتخذ من موقف، فليحرص على أن يزيل ما بينه وبين أخيه من الشحناء، وأن يبتعد عن الأسباب التي تغضب أخاه، وتكدر خاطره وهذا هو العلم، طلبًا إن الجميع يكون على السنة وعلى الخير وعلى طريق الهدى فليحرصوا على التآلف .

والناس في هذا الطرف من الوسط، أما أحد الطرفين، هذا يرى خطأ إلا ويغلظ على صاحبه، وربما يكثر من الخطأ فيبدع ما لا يستحق التبديع بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرد على المبتدعة، وهذا كثير تجد شخصين متآلفين ثم يبدع أحدهما صاحبه لا لأجل بدعة لكن سبحان الله، لأجل أنه منه خطأ فيغلظ عليه، حتى خرج عن ما لا يجب له من حق الإخوة والألفة.

١٩-الردودُ العِلمية بين الغلو والجفاء:

واليوم تجد بعض الناس يرد بعضهم على بعض ليس ردود علمية وإنما ردود قد يكون فيها غلو ومبالغة وما شابه ذلك، الطرف الآخر: طرف الذي خلاص يرى أن صاحبه معه في طلب العلم ومعه في المنطقة ومعه في مكان خلاص مهما أخطأ من الإخوة إن تدفع الخطأ له، صديقك، من ينبهك عن خطأك لذا قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن مرآة أخيه».

أي أنه يرى عيبه في أخيه مرآة، على وجه كيفي ترى كذا وكذا، كذلك المؤمن مرآة أخيه يعني أن أخيه هو الذي ينبهه على عيوبه، ويدل على الإنسان لابد إن ينبه صاحبه، إن رأى فيه تفريقا ، تقصيرًا، نبهه بالحسنى وتواصل معه في ذلك حتى يزيل الشحناء لا ليتصيد على أخيه .

اليوم المناصحة اللي بين طلبة العلم اليوم ضعيفة جدًا، وأذكر قبل فترة قصيرة مرت بي، رجل كتب كتابًا كبيرًا، نقل الغلاف فيها أخطاء يعني انه فيها كلام والكتاب كبير جدًا، فوقف بعض الإخوة وأخذوا يشيعون عند بعض الشباب أن الشيخ فلان عنده أخطاء في كذا وأنا نبهتهم أليس صاحبكم، نبهتم، لعله ما انتبه لهذا الخطأ، خطأ ليس بدعة ولا أخرجه عن السنة، نقل خطأ، هل اتصلت عليه وعرفت منه وكذا.

هذا لا يجب في حق المسلم العام فكيف إذا كانوا أصحاب في طلب العلم، وزملاء، ولذلك الإنسان ينبه مرة ومرتين، لكن لا يعني التنبيه أن يسكت

الإنسان عن خطأ، أحيانًا قد ينبه الإنسان مرة، وقد ينبه أخاه سرًا وقد يوجهه وقد يصدر عليه إذا رأى الخطأ يحتاج بيان أكثر من هذا ربما انتقده.

ولا يلزم حقيقة اليوم أنك تناصح سرًا وتنبه سرًا ثم تقول للعام، هذا ليس صحيح، فالإنسان إذا ظن أن أخاه من الممكن أن يرجع عن خطأه إذا نصحه سرًا هذا خير وبركة، رجل أخطأ في مقال وكتب شيء، تواصل معه ترى يا فلان هذا خطأ وناقشه لعله إن يرجع ولو رجع فالحمد لله .

لكن إذا لم يرجع والخطأ منتشر ماذا يفعل؟ وخشي ينتشر الشر والحق لا يعرف، لابد إن يبين، بعض الناس اليوم إذا بين، قال ليش بينت، ليش ما نصحت، الناس يكونوا متوسطين، ويقدموا حق الله على حق الآدميين، لكن هذا لا يعني إهماله، ..وأن يحرص الإنسان دومًا على أسباب الألف .

لكن ليس معنى الألف أن تسكت عن أخطاء المخطئين كما أنه ليس من الألف إن تتكلم وتبالغ في الأخطاء أو ترفع قبل أن تنصح لأخيك، لابد للإنسان أن يعلم الأصول والقواعد، وهذا ما ذكره الشيخ -رحمه الله-، والله اعلم وصلى الله سلم على سيدنا محمد.